حجة الله البالغة

للإمام الكبير الشيخ أحمد
المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدّهلوي

حقّقه وراجعه
السيّد سابق

الجزء الثاني

دار الجيل

دار الجيل
للنشر والطباعة والتوزيع

الطبعة الأولى

2005م ـ 1426هـ

ISBN: 9953-78-021-8

بيروت: البوشرية ـ شارع الفردوس ـ ص.ب. : 8737 (11)
هاتف: 689950 ـ 689951 ـ 689952 / فاكس: 689953 (009611)
E.mail: daraljil@inco.com.lb.
Website: www.daraljil.com
القاهرة: هاتف: 5865659 / فاكس: 5870852 (00202)
تونس: هاتف: 71922644 / فاكس: 71923634 (00216)

فهرس الموضوعات

النوافل

لمَّا كان من الرحمة المَرْعِيَّة في الشرائع أن يُبيِّن لهم ما لا بد منه وما يحصل به فائدة الطاعة كاملة، ليأخذ كل إنسان حظه، ويتمسك المشغول والمقبل على الارتفاقات بما لا بد منه، ويؤدِّي الفارغ المقبل على تهذيب نفسه وإصلاح آخرته الكامل، توجَّهت العناية التشريعية إلى بيان صلوات يتنفَّلون بها، وتوقيتها بأسباب وأوقات تليق بها، وأن يُحَثَّ عليها، ويُرَغَّبَ فيها، ويُفْصَحَ عن فوائدها، وإلى ترغيبهم في الصلاة النافلة غير المؤقَّتة إجمالاً إلا عند مانع، كالأوقات المنهية.

فمنها: رواتب الفرائض. والأصل فيها أن الأشغال الدنيوية لمَّا كانت مُنسِيَةً ذِكْرَ الله صادَّةً عن تدبر الأذكار وتحصيل ثمرة الطاعات، فإنها تورث إخلاداً إلى الهيئة البهيمية وقسوة ودهشاً للملكية، وجب أن يشرع لهم مصقلة يستعملونها قبل الفرائض؛ ليكون الدخول فيها على حين صفاء القلب وجمع الهمة، وكثيراً ما لا يصلِّي الإنسان بحيث يستوفي فائدة الصلاة، وهو المشار إليه في قوله ﷺ: «كم من مُصَلٍّ ليس له من صلاته إلا نصفها، ثلثها، ربعها»، فوجب أن يسن بعدها صلاةٌ تكملة للمقصود.

وآكدها عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة، متوزعة على الأوقات؛ وذلك أنه أراد أن يزيد بعدد الركعات الأصلية، وهي إحدى عشرة لكنها أشفاع، فاختار أحد العددين.

قوله ﷺ: «بني له بيت في الجنة»[1].

أقول: هذا إشارة إلى أنه مكَّن من نفسه لحظ عظيم من الرحمة.

قوله ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

أقول: إنما كانتا خيراً منها لأن الدنيا فانية، ونعيمها لا يخلو عن كدر النصب والتعب، وثوابها باق غير كدر.

قوله ﷺ: «من صلَّى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلَّى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة».

أقول: هذا هو الاعتكاف الذي سنَّه رسول الله ﷺ كل يوم، وقد مر فوائد الاعتكاف.

(1) الحديث ما رواه الترمذي عن أم حبيبة أنه قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة: أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الفجر».

قوله ﷺ في أربع قبل الظهر: «تفتح لهن أبواب السماء»، وقوله ﷺ: «إنها[1] ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأُحِبُّ أن يصعد لي فيها عمل صالح»، وقوله ﷺ: «ما من شيء إلا يسبح في تلك الساعة».

أقول: قد ذكرنا من قبل أن المتعالي عن الوقت له تجلِّيات في الأوقات، وأن الروحانية تنتشر في بعض الأوقات، فراجع هذا الفصل.

وإنما سُنَّ أربع بعد الجمعة لمن صلَّاها في المسجد وركعتان بعدها لمن صلَّاها في بيته، لئلا يحصل مثل الصلاة في وقتها ومكانها في اجتماع عظيم من الناس، فإن ذلك يفتح على العوام ظن الإعراض عن الجماعة ونحو ذلك من الأوهام، وهو أمره ﷺ ألا يوصَل صلاة بصلاة حتى يتكلم أو يخرج. وروي: «أربع قبل العصر وست بعد المغرب». ولم يسن بعد الفجر لأن السُّنَّة فيه الجلوس في موضع الصلاة إلى صلاة الإشراق، فحصل المقصود، ولأن الصلاة بعده تفتح باب المشابهة بالمجوس، ولا بعد العصر للمشابهة المذكورة.

ومنها: صلاة الليل. اعلم أنه لما كان آخر الليل وقت صفاء الخاطر عن الأشغال المشوشة وجمع القلب وهدوء الصوت ونوم الناس، وأبعد من الرياء والسمعة، وأفضل أوقات الطاعة ما كان فيه الفراغ وإقبال الخاطر، وهو قوله ﷺ: «وصلوا بالليل والناس نيام»، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ[2] هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ [المزمل: الآيتان: 6، 7].

وأيضاً فذلك الوقت وقت نزول الرحمة الإلَهية، وأقرب ما يكون الرب إلى العبد فيه، وقد ذكرناه من قبل.

وأيضاً فللسهر خاصيَّة عجيبة في إضعاف البهيمية، وهو بمنزلة الترياق، ولذلك جرت عادة طوائف الناس أنهم إذا أرادوا تسخير السباع وتعليمها الصيد لم يستطيعوه إلا من قِبَلِ السهر[3] والجوع، وهو قوله ﷺ: «إن هذا السهر جهد[4] وثقل...» الحديث[5] لمّا كان كل هذا كانت العناية بصلاة التهجد أكثر، فبيَّن النبي ﷺ فضائلها، وضبط آدابها وأذكارها.

---

(1) الضمير لما بعد الزوال.

(2) ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ القيام بعد النوم، وقوله: ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ اي: موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن في هذا الوقت أشد، وقوله: ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ اي: ابين قولاً، وقوله: ﴿سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ اي: تصرفاً في أشغالك لا تجد فرصة لتلاوة القرآن.

(3) اي: عدم النوم. (4) اي: مشقة.

(5) تمامه: «فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين، فإن قام من الليل وإلا كانتا له» اي: كافيتين له من قيام الليل.

قوله ﷺ: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد...» الحديث[1].

أقول: الشيطان يُلَذِّذ إليه النوم، ويوسوس إليه أن الليل طويل، ووسوسته تلك أكيدة شديدة لا تنقشع إلا بتدبير بالغ يندفع به النوم وينفتح به بابٌ من التوجه إلى الله، فلذلك سن أن يذكر الله إذا هب[2] وهو يمسح النوم عن وجهه، ثم يتوضأ ويتسوَّك، ثم يصلي ركعتين خفيفتين، ثم يطوِّل بالآداب والأذكار ما شاء.

وإني جرَّبت تلك العقد الثلاث وشاهدت ضربها وتأثيرها، مع علمي حينئذ بأنه من الشيطان، وذكري هذا الحديث.

قوله ﷺ: «رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا» أي بأصناف اللباس «عارية في الآخرة» أي جزاء وفاقاً، لخلو نفسها عن الفضائل النفسانية.

قوله ﷺ: «ماذا أنزل...» الحديث[3].

أقول: هذا دليل واضح على تمثُّل المعاني ونزولها إلى الأرض قبل وجودها المحسوس.

قوله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا...» الحديث[4].

قالوا: هذا كناية عن تهيؤ النفوس لاستنزال رحمة الله من جهة هدوء الأصوات الشاغلة عن الحضور، وصفاء القلب عن الأشغال المشوشة، والبعد من الرياء.

وعندي: أنه مع ذلك كناية عن شيء متجدد يستحق أن يُعبَّر عنه بالنزول، وقد أشرنا إلى شيء من هذا، ولهذين السرين قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر»، وقال ﷺ: «إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه»، وقال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، مكفرة[5] للسيئات، منهاة عن الإثم». قد ذكرنا أسرار التكبير والنهي عن الإثم وغيرهما فراجع.

---

(1) تمامه: «يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

(2) أي: استيقظ.

(3) والحديث ما رواه البخاري عن أم سلمة، قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: «سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات» يريد أزواجه «لكي يصلين».

(4) تمامه: «حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟». والمراد بنزوله تعالى قربه بإنزال الرحمة، لأن النزول من صفات الأجسام. أو هو من المتشابهات يؤمَنُ بها ويُكَفُّ عن كيفيتها.

(5) أي: ماحية، و«منهاة» أي: ناهية.